بيت الشعر في المغرب

La Maison de la Poésie au Maroc

The House of Poetry in Morocco

تقرير لجنة تحكيم جائزة الأركانة العالمية للشعر:

جائزة الأركانة العالمية

للشاعر الإسباني أنطونيو غامونيدا

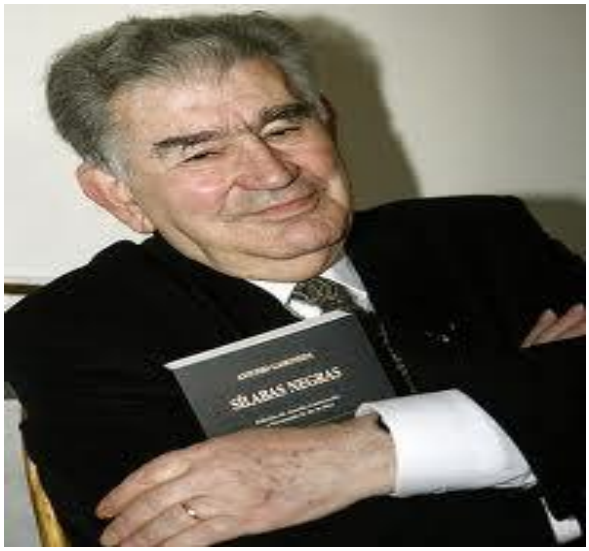

اجتمعت، في الرباط، لجنة تحكيم جائزة الأركانة العالمية للشعر، في دورتها السابعة، والتي يمنحها بيت الشعر في المغرب، كل سنة، بشراكة مع مؤسسة الرعاية لصندوق الإيداع والتدبير وتعاون مع وزارة الثقافة. وقد تكونت اللجنة من الكاتب والباحث الأستاذ محمد العربي المساري (رئيساً) والأعضاء الأساتذة: الناقد عبد الرحمن طنكول، والشاعر حسن نجمي، والشاعر نجيب خداري، والشاعر خالد الريسوني.

وارتأت لجنة التحكيم أن تتوج هذه السنة الشاعر الإسباني أنطونيو غامونيدا تحية منها لتجربة شعرية عميقة تحتفي بالتخوم وبتأمل الموت من مشارف الحياة، ولشاعر إنساني نسج مع الشعر علاقة مصاحبة وتأمل وود، مثلما نسج مع بيت الشعر في المغرب علاقة صداقة وطيدة منذ

تأسيسه إلى الآن. فأنطونيو غامونيدا عضو في الهيئة الشرفية للبيت وشاعر أضاء بحضوره الجميل البيت في الدورة الأولى لمهرجان الدار البيضاء العالمي للشعر.

أنطونيو غامونيدا (أوبييدو 1931) شاعر كوني كبير، ظل قابعا خلال سنوات طويلة في منطقة الهامش أو منطقة النسيان والتجاهل داخل الدوائر الأدبية الإسبانية، لكنه استطاع، بفضل عمق تجربته الشعرية، أن يغادر منطقة الظل ليفرض صوته كقيمة مضافة وأساسية في مسار الشعر الإسباني خاصة والشعر العالمي عامة. وقد نال الاعتراف والتتويج المستحقين ابتداء من سنة 1987 حين صدرت أعماله الشعرية تحت عنوان "عمر"، فاجتمعت آراء النقاد والقراء في إسبانيا وخارجها على اعتبار مساره الشعري مسارا متفردا وتجربته في الكتابة الشعرية تجربة متميزة لاتوازي ما كان سائدا من تجارب، ولا تتناظر مع أي من التيارات أو التقليعات الشعرية المتعايشة فيما بينها داخل خريطة الشعر الإسباني. وذلك ما جعل النقد يتساءل إن كان قادرا على تصنيف غامونيدا ضمن الجيل الشعري الخمسيني، وهنا يقول أنطونيو غامونيدا: " من الواضح أني لا أنتمي إلى جيل الخمسينيات كما تم التعارف عليه كجماعة شعرية، وربما يجمع بين كتابي "بلوز قشتالي" الذي منعت طبعته الإدارة العامة للثقافة والفرجات وبين البعض منهم قرابة أسلوبية. ثم إني أقدر تقديرا عميقا وأشعر بمودة خاصة تجاه بعض المنخرطين في هذا الجيل الشعري. لكني، بشكل عام، لست مناصرا للجماعات الأدبية التي يمكن بطريقة ما أن تفرض إكراهات على الشخصية الفردية لأيً من أعضائها". إن ما يجمع بين الشاعر أنطونيو غامونيدا وشعراء جماعة الجيل الخمسيني المذكورة هو: طفولة الحرب، واستعادة ذكرى الأسرة خلال سنوات ما بعد الحرب، ومشاهد وحلقات من فظاظة تلك السنوات. لكن ما يفصله عنهم كان أعمق، ويتجلى في رغبته الإرادية في البقاء على هامش الجماعات الأدبية لحماية صوته الشعري من تهديد الاجترار والتشابه والتناظر والتكرار. ومع ذلك فقد جمعته بشعراء محددين من جماعة الجيل الخمسيني علاقة شعرية، مثلما هو الأمر بالنسبة لخوسيه أنخيل بالينطي وكلاوديو رودريغيث وفرانسيسكو برينيس، علاقة تجد تفسيرها في الانتصار للشعر الرؤيوي أو بتعبير آخر الشعر التأملي الهادئ الذي يركز على القيم الأساسية للإنسان وللطبيعة، واستعادة حياة الطفولة المغتصبة، والتضامن الإنساني، والتفكير المأساوي أو النظرة الرثائية. لكن غامونيدا ظل، دوما، صوتا متفردا يقيم في خلوته النافذة إلى عمق الأشياء، خلوة الشاعر المتأمل والباحث عن فرادته الأسلوبية والشعرية التي تتموضع خارج السائد والمعطى سلفا. ولذلك كان طبيعيا أن يرسم لنفسه مسارا خاصا يمكن أن ننعته بمسار جاذبية تأمل الحياة والموت في تقاطعهما وانفصالهما. فشعر غامونيدا مليء بمظاهر الاحتفاء بالحياة التي تتشكّل من مادة الزمن والمعيش، ومن مادة الوجود في تخومه القصوى. فهوية الذات الشعرية عند غامونيدا هي تجاوز استعاري للذات الأوتوبيوغرافية عبر التخييل، وانفتاح على المعنى الكوني للذات وهي تحرر ذاتها من شروط الزمان والمكان، مما يجعل التجارب المعيشة مجرد احتمال لأي تجربة حياة إنسانية أخرى. وذلك ما يتعدّى التصور الذي يرى الشعر مجرد شهادة أوتوبيوغرافية لذات ما. إن جاذبية تأمل الحياة والموت سفر نحو الموت بكل دلالاته، وهو، في الآن ذاته، تفكير عميق في كل الأشياء التي تتلاشى وتفنى أمام أنظارنا خلال هذا السفر والعبور. يقول غامونيدا في كتاب «البرد»:

" قد عبرت الستائر البيضاء: فقط ثمة نور في عيني."

وكلمة موت يتم تحاشيها أحيانا بكلمات أخرى تحيل عليها بالإشارة والإيحاء من مثل النور والثلج والحدود والتخوم والعتبات وأقاليم النهايات والمنطقة البيضاء، وغيرها...

إن بيت الشعر في بالمغرب، وهو يمنح جائزة الأركانة العالمية للشعر في دورتها السابعة، لأنطونيو غامونيدا، إنما يتوج فيه الشاعر الكوني المحتفي بشعر الحدود والتخوم، باعتباره يسكن عمق نظرة كونية تتشكل من مادة الوجود والحياة وهما يتأرجحان في مسارهما بين لاوجودين، العدم والموت. كما تتوج فيه الصوت الشعري المتفرد المقيم في خلوته المتأملة للذات وللوجود وللحياة وللموت، في تلك الضفة الشعرية الأخرى التي تسكن وجداننا العربي. ولذلك فهي تتوج فيه كل الشعر الإسباني، كما تتوج الصوت الذي استطاع بشعريته المتدفقة أن ينبثق من الهامش، وأن يتمرد بصمت على التجاهل والنسيان بسلطة كلمة الشعر المتألقة، وأن ينال ما يستحقه من مكانة وتشريف في عالم الشعر والأدب لأنه- ببساطة- ظل وفيا للعمق الإنساني الذي يمثله الشعر.

سيرة

أنطونيو غامونيدا

Antonio Gamoneda

ولد الشاعر الإسباني أنطونيو غامونيدا في مدينة أوبييدو بإقليم أستورياس سنة 1931. وهو يعتبر حاليا من الوجوه الأدبية المؤثرة في المشهد الشعري الأروبي والناطق بالإسبانية، إذ أن أعماله الأدبية والشعرية منها على وجه الخصوص حظيت باعتراف عالمي واسع، وإن بشكل متأخر. فالشاعر لم يلج باب التداول الإعلامي والنقدي وباب النشر الواسع بين جماهير القراء إلا بشكل متأخر جدا مقارنة مع مجايليه من الشعراء. ولكنه يعتبر، حاليا، من الأصوات الاستثنائية العميقة في الشعر الإسباني الراهن. وهو من الناحية الكرونولوجية يمكن أن يصنف مع الجيل الخمسيني دون أن يكون منتميا للجماعة الشعرية الخمسينية التي اجتمعت بكوليور والتي يشكلها أنخيل غونثاليث وخوسيه مانويل كباييرو بونالد وكلاوديو رودريغيث وكارلوس بارال وخايمي خيل دي بييدما وخوسيه أغوسطين غويتيصولو وأنخيل باينطي وألفونصو كوسطافريدا... وغيرهم. وإن ظلت تجربته في الكتابة الشعرية بعيدة عن كل الجماعات الشعرية وعن كل التيارات السائدة، وهذا ما أكسب أعماله فرادة وتميزا إبداعيين لا نجدهما في أعمال مجايليه.

منذ طفولة أنطونيو غامونيدا وهو يقيم في ليون، المدينة التي ساهم بشكل كبير في حياتها الثقافية حد أنه صار معلمة من معالم هذه المدينة التي خلدها في بعض قصائده. كانت حياة أنطونيو غامونيدا خلال مراحلها الأولى مطبوعة بهيمنة الفقر والبؤس والقمع، وعلى الأخص الموت الذي خلفَ في شعره أثرا عميقا لايمكن تلافيه أو تجاوزه بسهولة، ولذلك تتردد ثيمة الموت بشكل متواصل في شعره. تعلم غامونيدا القراءة على انفراد في سن الخامسة من خلال الكتاب الوحيد الذي نقلته أمه معها إلى بيتها الجديد، وكان عنوان الكتاب:" ***حياة أخرى أسمى"*** ، العمل الشعري اليتيم الذي خلفه والده الشاعر بعد وفاته. وبعد تعلم مدرسي قصير ومحدود عمل أنطونيو بين 1945 و 1969 في وكالة بنكية ساعيا ينقل المراسلات والوثائق ليساعد أمه الأرملة على تحمل تكاليف العيش، وهي التي شمرت عن ساعدها بعد وفاة أبيه منذ كان عمره عاما واحدا. بعد ذلك

صار موظفا في المجلس النيابي الإقليمي، ثم مدبرا للشأن الثقافي في مؤسسة سييرا- بامبلي، الهيئة المؤسسية التي رأت النور في 1887 برعاية فرانسيسكو خينر دي لوس ريوس وغوميرسيندو دي أثكاراطي ومانويل بارطولومي كوسيو.

حياة اليساري التواق إلى الحرية في أقاليم تئن من المجاعة والبؤس في فترة ما بعد الحرب الأهلية والشاعر العصامي الذي صنع مساره بعيدا عن الجامعات وعن الدوائر الثقافية المتحكمة ومنتديات الشعراء المكرسين والنافذين.. تلك الحياة تتدفق كمجرى سري وتغذي كل أشعار غامونيدا، كما يقر بذلك الناقد ميغيل كاسادو. وفي تلك المرحلة القاسية والخصبة كتب الشاعر أولى دواوينه الشعرية:

الأرض والشفاه (1947- 1953) وهو ديوان شعري لم ينشر إلا مع صدور المجلد المعنون ب: ***"عمر"*** والذي تلك جمع فيه الشاعر أعماله الشعرية التي كتبها حتى حدود 1987.

ثورة ثابتة (1953- 1959) صدر بمدريد سنة 1960، وهو عمل شعري نال جائزة الترضية ضمن جوائز أدونيس للشعر.

فرائد I (1959- 1960) وهي قصائد لم تنشر إلا مع صدور ***"عمر".***

بلوز قشتالي (1961- 1966) عمل شعري لم ينشر حتى سنة 1982 لأسباب مرتبطة بالرقابة.

فرائد II (هوى النظرة) (1963- 1970) نشر في تنويعات متعددة بليون في 1979 تحت عنوان: "ليون النظرة".

بعد هذه المرحلة الأولى، دخل أنطونيو غامونيدا في صمت شعري امتدّ على مدى سبعة أو ثمانية أعوام، طبعها من حيث الدلالة الرمزية موت الديكتاتور وبداية ما سمي حينئذ بالمرحلة الانتقالية التي كانت بتعبير غامونيدا "سنوات اكتئاب مضافة... وكان الشعر عشقا حاضرا لكنه مستحيل". وإلى ما سبق يجب أن نضيف الأزمة الأيديولوجية التي ربما كانت الأكثر حدة والتي يمكن ملامستها بشكل واضح في عمله الشعري التالي وهو العمل المعنون ب: ***"وصف الأكذوبة"*** الصادر بليون 1977، والكتاب عبارة عن قصيدة شعرية طويلة ترسم منعطفا حاسما نحو النضج الشعري الشامل في تجربة غامونيدا الشعرية. ونشر،لاحقاً، عملا شعريا بعنوان ***"لوحات حجرية"*** بمدريد 1987، و***" عمر"*** المجلد الذي ضم كل أعماله الشعرية حتى1987،وقد راجعها ونقّحها مؤلفها وقدمها بدراسة عميقة الناقد الإسباني البارز ميغيل كاسادو، وهو الحدث الذي رافقه اعتراف واسع بعبقرية غامونيدا من القراء والنقاد والشعراء توّج بنيله الجائزة الوطنية للآداب.

وفي سنة 1992، صدر ديوانه المعنون ب: ***"كتاب البرد"*** الذي بوّأه مكانة مرموقة كواحد من أهم شعراء اللغة الإسبانية قاطبة. وفي سنة 2000، صدرت الصيغة النهائية من ***" كتاب البرد"*** الذي ضم "برد التخوم"، وهو النص الذي كان قد صدر من قبل ضمن عمل بتعاون مع الفنان الكطلاني أنطوني طابييس، والذي أخذ طابع الإضافة اللازمة في ***كتاب البرد*** عند فصله عن العمل التشكيلي. وكانت قصائد " فانٍ" 1936 قد صدرت أيضا مصاحبة بأعمال طباعة بالشاشة الحريرية لخوان بارخولا عن مجزرة حلبة الثيران لباداخوس خلال الحرب الأهلية الإسبانية، ولكنها لم تنشر في ***فرائد III (1993- 1997).***

أماعن قاموس مختص بالعلوم الطبية العتيقة (1993- 1998) و ***كتاب السموم (مدريد 1995)*** فهما عملان لا نمطيان ينطلقان من اقتناع المؤلف بأن اللغة العتيقة قد تم شحنها جماليا حتى تحولت إلى شعر. والكتابان يكشفان ولع الشاعر بترجمة لليوناني ديسقوريدوس أنجزها أندريس لاغونا في القرن السادس عشر وتأويلات هذا الأخير له كمفتاح شعري.

"يشتعل الخسران" " ثيثيليا" و***" أغنية خاطئة"*** هما العملان الشعريان الأخيران لأنطونيو غامونيدا، وقد نشرا تباعا في 2003 و 2012.. عملان يتوجان مسار التوهج الإبداعي والنضج الشعري الذي بدأ مع " ***وصف الأكذوبة"***، حيث يضع الشعر في أفق الموت الذي معه كل ما يتلاشى ويفنى (الطفولة والحب ووجوه الماضي والغضب...)، بعد مايزال يشتعل في العبور نحو الشيخوخة ببصيرة وتبصر خارقين وببرد أقصى. وبين الكتابين ظهر ديوان ثالث هو ***" ثيثيليا" 2004*** الذي احتفى فيه غامونيدا بالحياة والموت، ثم الأعمال الشعرية غير الكاملة في طبعتها الأنيقة بعنوان: ***" هذا النور" (1947- 2004)*** الذي يجمع أغلب كتابات غامونيدا الشعرية.

خلال هذا المسار الشعري الطويل نال أنطونيو غامونيدا عدة جوائز أدبية أهمها:

- جائزة قشتالة ليون للآداب 1985
- الجائزة الوطنية للشعر 1988.
- الجائزة الأروبية للآداب 1993.
- جائزة الثقافة لمنطقة مدريد في الآداب 2004.
- جائزة الملكة صوفيا للشعر الإيبيرو أمريكي 2006
- جائزة سيربانطيس للآداب 2006.

كما تم منحه دكتوراه فخرية من جامعة ليون سنة 2000. وقد نشر غامونيدا سنة 2009 كتابا في السيرة الذاتية بعنوان: " ***دولاب مليء بالظلام"***، وفيه يجد القارئ تفاصيل ومؤانسات واعترافات حميمة تضيء شعر غامونيدا وقصائده المستغلقة حسب بعض النقاد، بل إن الكتاب يكشف هذا التوازي بين الحياة أو الواقع وبين الشعر باعتباره استعارة أو رمزا لهذا الواقع المفترض: " الواقع رمزي وأنا شاعر واقعي لأن الرموز تجد حقيقة وتجسيدا في حياتي ... حينما أقول إن هذا البيت كان مختصا بالعمل والموت" ثمة بروز رموز، لكن يحدث بالإضافة إلى ذلك أن هذا البيت كان حقا مختصا بالعمل وبالموت". إن كتاب غامونيدا السير ذاتي يفسر أحيانا ما استغلق من قصائده الشعرية بشكل غير معلن وشفاف، ولذلك يعتبر من فرائد السير الذاتية في إسبانيا.